جرمانوس فرحات وتعريب رواية استير شعراً ونظم سفر نشيد الاناشيد وقصائد عصماء عربية وسريانية وتواريخ شعرية وشرح مجلة الاحكام واختصار شروح الشرع الاسلامي واعراب شواهد ابن عقيل . ونسخ مؤلف مرهج بن نمرون وكتاب المرطقات لمار يوحنا الدمشقي وشرح آيات الانجيل لمكرديج الكبير ومختصر في الطبيعيات وغراماطيق سرياني للترلاوي ومقالة في النفس الخ . وكتاب شرح ماهية النفس الناطقة لكيرسابا كاتب وغيرها ليست بذات اهمية

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حلول الرهبانية اليسوعية في سورية

في السنة ١٦٢٥ تحقّقت نوعاً رغبة الطيّب الذكر جرجس عميرة في كتابه الى رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام اذ كان اسقفاً على اهدن وكان طلب اليه ان يُرسل بعضاً من رهبانه ليقيموا بين الموارنة على صورة ثابتة بعد القصادة الموقّتة التي عُهدت الى الابوين اليانو ودنديني

فان ملك فرنسة لويس الثالث عشر لحسن الصلات التي كانت بينهُ وبين ملوك آل عثمان كان نال من الباب العالي بعض الامتيازات لدولته في الاستانة وفي اساكل الشام وبعض حواضرها كحلب ودمشق . لكنهُ رأى انَّ تلك الامتيازات تكون اعمّ خيراً وافضل جدوى لنصارى الشرق لو مُنحت لمرسلين فرنسويين يستوطنون الممالك العثمانية ويسعون في خدمة الطوائف الشرقيّة . فتاتّح في ذلك الكرسي الرسولي

وكان الجالس حينئذٍ على عرش الخلافة البطرسيَّة البابا اوربانوس الثامن . فبعد النظر في الامر ومراجعة مجمع انتشار الايمان صدرت اوامر قداسته لثلث رهبانيَّات فرنسوية اعني بهم الكرمليين والكبوشيين واليسوعيين بان يذهبوا الى انحاء الشام ليبشروا فيها بالايمان

١ اليسوعيون والموارنة في حلب

وكان اليسوعيُّون اوَّل من سبق الى تلبية هذه الاوامر فأرسل منهم اثنان وهما الابوان غبار مانيليه وجان ستيلًا فسافرا الى سوريَّة في حزيران من السنة ١٦٢٥ ووصلا الى الاسكندريَّة في اواسط تموز واذ عرفا ان مدينة حلب من اكبر حواضر الشام وفيها من النصارى وتجار الفرنج اكثر من سواها مع قلة المرسلين فيها لمساعدة النفوس حيث لم يكن فيها غير الآباء الفرنسيسكان الايطاليين قصدا تلك المدينة وعزما على استيطانها وعلى خدمة اهلها الروحية تحت حماية قنصلها الفرنسوي بيار دوليثيه فكان دخولهما اليها في اوائل شهر آب من السنة

وهنا حدِّث ولا حرج عما نال الابوين اليسوعيين من المحن والمعاكسات وضروب الاضطهادات التي تعاورتهم كالسهام الراشقة من قبل قناصل الدول الاجنبية والمتسمين اليها . واُقفلت في وجههم كنائس الشهباء الَّا كنيسة القديس الياس للموارنة فأمكنهم ان يقدِّموا فيها الذبيحة المقدَّسة ويجدوا عند ابناء طائفتها بعض التعزية في بلاياهم

وفي رسائل المرسلين وتقارير السفراء والقناصل انَّ الموارنة كانوا اذ ذاك في حلب اقلّ الطوائف عددًا وانَّ كنيستهم كانت معبدًا صغيرًا بل حجرةً مجاورة لكنيسة الارمن لا تسع اكثر من اربعين الى خمسين شخصاً . ولم يكن حينئذٍ مقيماً بينهم اسقف يرعاهم وانَّما يقوم في خدمتهم وكيل اسقفي مع بعض الكهنة البسطاء

وكان في نيَّة الابوين المرسلَيْن ان يصبرا على بلاياهما لولا انَّ اعداءهما سعوا عند الوالي العثماني قره قاش محمَّد باشا واقنعوهُ بنفيهما من حلب بل من انحاء الشام فلم يستطيعا الَّا الرضوخ للقوَّة القاهرة

وقد فصَّل حضرة الاب ترنيز اليسوعي تفاصيل اخبارهما في المُشرق(١٥[١٩١٢]:

١٦٤٣–١٦٤٨) فوصف سفرهما بحرًا الى مالطة ثمَّ الى الاستانة حيث توفَّقا بعد مدَّة الى نوال فرمان شاهاني يسمح لهما في السكنى بحلب فرجعا اليها في اوائل السنة ١٦٢٧ وانتصرا بفضل المشير خليل باشا على كل اعدائهما فاطمأنَّا بالًا وتفرَّغا لاعمالهما الرسولية

ونقتصر هنا وقفًا لتعرضنا على ذكر ما اتياهُ من الخدم لطائفة الموارنة وحدها وقد باشرا اوَّلًا بالعمل مع الفرنج ريثما يصحُّ لهما التعليم والتبشير باللغة العربيَّة التي انكبَّا على درسها

ولمَّا تمكَّنا من التكلُّم بها اخذا يشرحان التعليم المسيحيَّ للصغار في الكنيسة المارونيَّة وسميا بانشاء اخويَّة لابناء الطائفة. الَّا انهما وُجدا في حالة من الفقر المدقع لانقطاع كلّ الحسنات عنهما تأثَّرت منهُ صحَّتهما فارسل سنة ١٦٢٨ الاب مانيليه رفيقهُ الاب جان ستيلًا الى فرنسة ليلفت نظر الرؤساء والمحسنين الى تلك الرسالة الجديدة المهملة. فرافق وصوله اليها اذ كان الطاعون فاشيًا في جهاتها فطلب من الرؤساء ان يخدم للطعونين وما لبث ان مات في اثنين شهيد محبَّتهِ نحو القريب في ١٨ ك ١ ١٦٢٩

لما الاب مانيليه فتأذَّى كثيرًا لبُعد رفيقهِ وأصبح في حالةٍ من الضيق والعوز يُرثى لها فثبَّت في عضدهِ ومنعتهُ من خدمتهِ للنفوس الى ان بلغ امرهُ مسامع الاب جيروم كويرو (P. J. Queyrot) الذي كان قضى سنين عديدة في رسالة استنبول ثمَّ في لمير بصعة ونيس ديرها فقام من ساعتهِ واتى الى الشهباء لمساعدة الاب مانيليه وكان ذاك الاب جامعًا لكل صفات المُرسل النشيط من تقًى عميق وعلم واسع ونشاط في العمل وحسن تدبير للامور وهو يتكلم بكل لغات الشرق. فانتعش الاب مانيليه لمجيئهِ واخذ كلاهما في فلاحة كرم الرب بغيرةٍ لم تعرف الملل. وكان الاب كويرو يعرف شيئًا من الطبّ فالتجأ اليهِ كثيرون من المرضى وشفاهم

ولمَّا كانت السنة ١٦٣٠ فشا طاعون جارف في حلب اودى بحياة الوفٍ مؤلفة من اهلها. فكان الابوان ليلًا مع نهار يتجوَّلان في بيوت المصابين ليؤدُّوا لهما ما استطاعا من الخدم الروحيَّة والجسديَّة. فكان مثلهما هذا مؤثِّرًا في قلوب الجميع حتى المعادين لهما. ومذ ذاك الحين تيسَّرت لهما الامور وجعلا يتقطعان الى اعمال

دعوتهما دون مانع ففتحا مدرسةً للصغار وانشأ الاب كيرو اخويّة للرجال في كنيسة الموارنة والّف كتباً عديدة روحيّة وعلميّة فبقي في حلب كروّوس او رئيس الى اواخر السنة ١٦٤٣ فطلبهُ البطريرك افتيشيوس الصاقزلي ليرافقهُ الى دمشق ليخدم فيها طائفة الروم وكان في حلب قد شارك ربّهُ بآلامهِ اذ تحامل عُمّال الاتراك على الرهبان فألقي الاب كيرو في حبس مظلم مقيّدًا بالاغلال وبقي هناك مدّةً الى ان فداهُ احد التجّار الفرنسويين بمبلغ من المال

وقدم الى حلب في العقد الرابع من القرن السابع عشر بعض المرسلين ذوي الفضل والفضيلة ممّن بقيت آثارهم الى يومنا هذا. منهم الاب جان أميو (J. Amieu) الذي وصل الى حلب سنة ١٦٣٥ ولشهر فيها بتعليم الاحداث الموارنة وإعداد بعضهم للمدرسة الرومانيّة وكان يعظ في كنيستهم . وكان منبر الوعظ قريباً من شبّاك يطلّ على ساحة كنيستي الارمن والروم فكان هؤلاء يتزاحمون لاستماع وعظهِ وارشاداتهِ فردّ منهم كثيرين الى الايمان القويم وقد اشتهر هذا الاب بخدمة المرضى والطعونين قبل ان ينتقل الى سواحل الشام سنة ١٦٥٠ وينشئ دير طرابلس

ومنهم الاب حبيب شيزو (Aimé Chézaud) الذي ادار اخويّة الموارنة في حلب وعُني بتهذيبهم وارشادهم . الّا انّ تقرّبهُ الى الارمن جذب اليهِ محبّة اهل تلك الطائفة وسافتها فانقطع اليهم وسافر الى اصفهان ليبشّر هناك رسالةَ خدمتهم وتوفي هناك سنة ١٦٦١ وكان هو ايضاً قاسى اوجاعاً كثيرة من قبل الاتراك في الشهباء. وأُلقي في حبس مُنتن لادّعائهم بانّهُ فتح معبدًا للصلاة دون فرمان الدولة وكانوا وجدوهُ يصلي في غرفةٍ صغيرة. وكان هذا الاب بارعاً بالطبّ يعالج المرضى

وفي العقد الخامس من ذلك القرن أُرسل الى حلب يسوعيّان اخران مثل السابقين فضلاً وبراعةً احدهما الاب غليوم غوده (Guil: Godet) دخل حلب سنة ١٦٤٢ فعطّرها برائحة قداستهِ مدّة ثماني سنين وخدم بغيرة متّقدة كلّ الطوائف الشرقيّة ومات تكفيراً عن ذنب احد الرهبان الذي جحد النصرانيّة. ومن خدمهِ للموارنة انشاؤهُ اخويّة لشبّانها سنة موتهِ ١٦٥٠ . والآخر الاب فرنسوا ريغوردي (Fr. Rigordi) الذي قدم حلب سنة ١٦٤٣ ولم يُطل فيها الاقامة وسيأتي ذكرهُ في جملة مرسلي صيداء

ولشهر في حلب في العقد السادس من القرن السابع عشر الاب فرنسوا ريغو

(Fr. Rigault) الذي جاء الى حلب سنة ١٦٥٠ مع الاب ادريان پارڤيله (Adr. Parvilliers) وانصبّ كلاهما على اعمال الرسالة بين الموارنة وبقيّة الطوائف. وقد ضُرب المثل بغيرة الاب ريغو وصبره على الضرب والاهانات التي نالتهُ من قبل المسلمين في حلب امّا الاب ادريان فانهُ حاز لهُ اسماً طيّباً بكتاباته

وفي هذا العقد عينهِ سنة ١٦٥٣ قدم الى حلب الاب نقولا پوارسون (N. Poirresson) وتولّى رئاسة ديرها وخدم الطوائف الشرقيّة مدّة ٢٤ سنة مارّس فيها اسمى الفضائل

واوسع منهم شهرة الاب يوسف بسّون (J. Besson) مؤلف كتاب سوريّة والاراضي المقدّسة (La Syrie et la Terre Sainte) وفي كتابهِ معلومات شتّى عن الموارنة وصفاتهم الدينيّة واحوالهم المختلفة وقد طُبع في باريس سنة ١٨٦٢

ومع انّ اليسوعيين شملوا بعنايتهم جميع الطوائف في حلب الّا انهم كانوا يخصّون بهمّتهم طائفة الموارنة اذ وجدوهم كلّهم كاثوليكاً بسطاء القلب يقبلون تعاليم مرشديهم برغبة فيسقط البذار الجيّد في تربة صالحة. وكانوا مع بساطتهم فقراء يستحثّون تطريب السيّد للفقراء بالروح - امّا عددهم فكان اوّلاً قليلاً ثمّ ازداد حتى بلغ بهجرة اللبنانيين الى حلب نحو مئتي عائلة و ٤٠٠ نفس يترزقون بالصنائع. وكان كهنتهم غالباً من لبنان قليلي العلم مرتبطين بالزواج فيسرّون بمساعدة المرسلين لاسيّما ان الفقر كان يعرّض ابناء ملّتهم لأخطار عديدة فانّ اصحاب الاديان المخالفة كانوا يطمعونهم بالمال ليجذبوهم الى مذهبهم. فانكبّ المرسلون اليسوعيّون على تدبير هذا القطيع الصغير فرعوهُ بكل حرص ولم يألوا جهدًا في تأصيل الايمان في ذويهِ وانعشوا فيهِ روح التقى والاقبال على الاسرار. فكان الموارنة يسبقون الجميع في ممارسة الفضائل المسيحيّة ولسماع الارشادات والمواعظ ومباشرة العبادات الكنسيّة والانضواء الى الاخويّات الروحيّة

وفي اواسط القرن السابع عشر اخذ البطاركة يرسلون الى حلب اساقفة يقيمون فيها ويرعون ابناءها. وقد ذكر منهم الاب يوسف يوازو باحدى رسائلهِ المطرانَ جبرائيل وهو جبرائيل بن يوحنّا البلوزاني الذي سُمّيَ على حلب البطريرك يوحنّا السبعلي سنة ١٦٦٣ قدّمها الى السنة ١٧٠٩ ثم خلف العلّامة الدويهي في البطريركيّة

الانطاكيّة . قال الاب بوازو ما تعريبهُ في كتابهِ الى سفير الدولة الفرنسويّة في الاستانة (١ :

ان الموارنة يمتازون بين كلّ نصارى الشرق بخضوعهم للكنيسة الرومانيّة واعتصامهم بها . وبما انهم جميعاً كاثوليك يقبلون منّا كل ما نقولهُ لهم لنكشف عنهم ذاك الجهل العميق الذي التهم فيهِ الدولة العثمانيّة . بطريركهم مقيم في قنّوبين ولهم هنا (في حلب) رئيس اساقفة متقّد النيرة لخلاص شعبهِ وهو يلتمس حماية فخامتك ويطلب بنفوذ عزّتك ان تنالَ لهُ الرخصة لتوسيع كنيستهِ جدم حائط يفصل الكنيسة عن بيت احد ابناء ملّتهِ فيكّن فناء الطائفة ان يحضرن منهُ الرتب الكنائسيّة فلا يختلطن كما يُقضي عليهن بذلك حاضرًا برجال من طوائف غريبة . وسيفصّل لفخامتك الامر اثنان من مرسلينا بكتابهما وهما الابوان بنيه (Benier) وديشان . فان توفّق الامر على موجب رغبة الاسقف حظيتم بركة جميع الكاثوليك وشكرهم المخلّد

وكان بطاركة الطائفة المارونيّة يباركون مساعي المرسلين ويطرئون اعمالهم الخيريّة . كيف لا وكان منهم بطاركان جليلان جرجس عميرة (١٦٣٣—١٦٤٤) ويوسف بن حليب العاقوري (١٦٤٤—١٦٤٨) تخرّجا في مدرسة رومية المارونيّة تحت ادارة الاباء اليسوعيين . ولمّا رفع بعض ذوي الغايات شكاوى عليهما الى البطريرك يوسف لم يلبث ان وقف على تُهم اصحابها الباطلة وزادت روابط الحبّ بين المرسلين والطائفة الحلبيّة توثّقاً لاسيّما بعد أن قدم الى حلب بعض المرسلين المخلصين الحبّ الموارنة كالاب ميشال نو (Michel Nau) والاب اغناطيوس رينه كليسون (R. Clisson) والاب يوسف بوازو (J. Boisot) والاب ميشال ديشان (M. Deschamps) الذي استنفد وسعهُ لينال من الباب العالي بواسطة السفير الفرنسوي فرماناً لتجديد كنيسة الموارنة وتوسيعها كما رأيت (٢

وقد ساعد المرسلين في ادراك غاياتهم المبتورة بعض من قناصل فرنسة الذين جاروهم غيرةً في نشر الدين وخدمة الكاثوليك ولاسيّما الموارنة فنخصّ منهم بالذكر أنج دي بونان (Ange de Bonin 1639-1642) وفرنسوا پيكه (Fr. Picquet, 1652-1661) والمركيز فرنسوا بارون (Fr. Baron 1661-1667) والفارس لوران دَرْفيو (Chevalier L. d'Arvieux 1681-1695) فانهم دافعوا عن حقوق الكاثوليك دفاع الابطال ونجوهم من عدّة مصادرات واهانات (لم بقية)

(١ راجع كتاب الآثار للمرحوم الاب انطون رباط Rabbath: Documents II, 94-95

(٢ راجع كتاب الاثار السابق ذكرهُ (٢ : ٦٥ و ١٠٠)